



ISSN 0302-8844

آداب

مجلة كلية الآداب جامعة الزيتونة

العدد 33 ديسمبر 2014

الهيئة الاستشارية

بروفيسور. إبراهيم الحارثو
بروفيسور. عز الدين الأمين
بروفيسور. علي عثمان محمد صالح
بروفيسور. جلال الدين الطيب
بروفيسور. عمر هارون الخليفة
بروفيسور. عبد الرحيم على
بروفيسور. علي التجاني الماحي
بروفيسور. فدوى عبد الرحمن على طه
بروفيسور. عبد الرحيم مقدم
دكتورة. سميرة أبو كشوة
دكتور. عبدالله حس زروق
دكتور. يونس الأمين
دكتورة. محاسن حاج الصافي
دكتور. حسن على عيسى
دكتورة. أم سلمى محمد صالح
دكتورة. رضية آدم محمد

هيئة التحرير

رئيس التحرير
د. سلمى عمر السيد عمر
سكرتير التحرير
د. أزهرى مصطفى صادق
أعضاء هيئة التحرير
د. قمر الدولة عباس البوني
د. عمر أحمد عمر
د. عفاف محمد الحسن
أ. آمال عبد الماجد محمد

التصميم والإخراج: أزهرى مصطفى صادق

الطابعون: مطبعة جامعة الخرطوم

المحتويات

القسم العربي

١	قراءة سيميائية في شعر الشباب السعوديين. ديوان "فينيق الجراح" للبارقي أنموذجاً. د. إبراهيم أبو طالب.....
٢٧	من القيم الخلقية في شعر عنتر بن شداد. د. وليد عمر نور الدائم أحمد
٥٣	الفصل بين الشعر والدين في النقد العربي قديماً وحديثاً. د. حسّان بشير حسّان حامد.....
٨١	المنوعات في التوكيد. د. عيسى بن علي محمد عسيري.....
١١٥	مصادر الاستشهاد في المقاصد الشافية للشاطبي (٧٩٠هـ). د. عائدة الأنصاري.....
	ألفاظ الساعة في القرآن الكريم (دراسة لغوية تحليلية، في دلالة الصوت وتشكل الصورة). د. صلاح أحمد الدوش.....
١٣٩	تباين مقابر آفاق العصر الحجري الحديث في السودان (الشكل والمحتوى) من خلال موقعي رتيح بالسبلوقة وقلعة شنان بشندي. أحمد حامد نصر.....
١٧١	موقع سوبا الأثري. دراسة في البعد الحضاري والتاريخي. د. أحمد حسين عبد الرحمن.....
١٩٧	التفاعل الثقافي والسكاني بين شمال السودان النيلي وإقليمي كرفان ودارفور عبر العصور. د. يحيى فضل طاهر.....
٢٢٣	منهج فنسنت في دراسة العلاقات بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة. د. خليفة محمد عمر.....
٢٦٥	العثمانيون وسياستهم تجاه شمال السودان في القرن السادس عشر الميلادي. د.أنعم محمد عثمان الكباشي.....
٢٨٣	دور القناة الفضائية التعليمية لجامعة السودان المفتوحة في تعزيز التعليم الجامعي بالسودان (دراسة تطبيقية على منطقة النهود التعليمية). د. أحمد إسماعيل حسين محمد.....
	دور الحوسبة السحابية في تعزيز احتياجات مجتمع المعرفة الرقمي العربي من المعلومات. د. معاوية مصطفى محمد عمر
٣٠٣	سلوك صيادلة السودانين نحو استخدام مصادر المعلومات (دراسة استكشافية لبناء نموذج مقترح). د. يوسف عيسى عبد الله
٣٣٣	

القسم الأجنبي

The Speech Act of Complaint as Realized by Advanced Sudanese Learners of English Compared to Native Speakers. Prof. Abdul Majeed Al-Tayib Omar	1
Aspects de la Négation en Arabe standard et dans certains dialectes arabes -étude descriptive-. Pr.Abdelkader Sellami.....	29
A New Provision to the Nature and Function of the Wadi Walls ("Dry-stones") in the Nile's Third Cataract Region. Dr. Yahia Fadl Tahir and Prof. Dr. Azhari Mustafa Sadig.....	37

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يونيو وديسمبر من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني adabsudan@gmail.com.
٤. يراعى في البحث أن يتراوح حجمه بين ٣٠٠٠-٥٠٠٠ كلمة ، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة ، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث ، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى ، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين ، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد ، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة طروحات المؤلف ومصادقية مصادره وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر الهوامش أو المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث ، بحيث يسهل الإحالة إليه بالرقم المشار اليه داخل البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث المكتوب بلغة أجنبية كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (Adams, 2000. 14).
٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها ، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.

موقع سوبا الأثري دراسة في البعد الحضاري والتاريخي

د. أحمد حسين عبد الرحمن
قسم الآثار – جامعة الخرطوم

المستخلص:

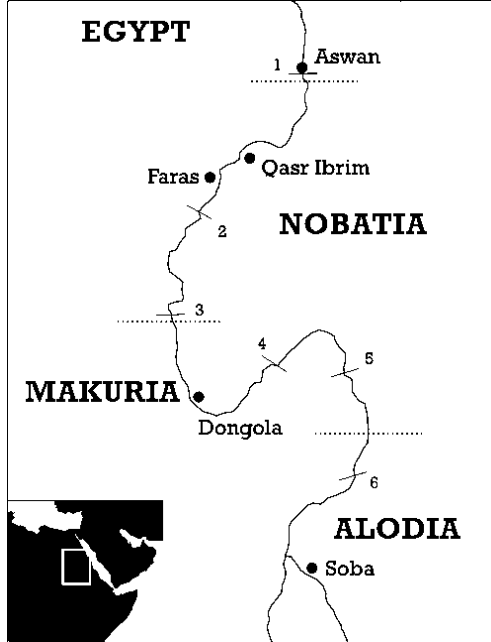
كان للعوامل التاريخية والبيئية تأثيراً كبيراً في نشوء وازدهار مدينة سوبا، التي أصبحت مركزاً سياسياً واقتصادياً مهماً في وسط السودان منذ فترات مروي مروراً بالفترة المسيحية التي بلغت حينها شهرة كبيرة عندما كانت عاصمة لمملكة علوة، وحتى قيام دولة الفونج. أدت هذه العوامل الى اختيار موقع لسوبا لقيام هذه المدينة التي صارت واحدة من أشهر المراكز الحضارية والثقافية في وسط السودان خلال الفترات التاريخية والوسيطة.

مقدمة:

كانت سوبا عاصمة لمملكة علوة ومقر للملك والسلطة الحاكمة حيث تتم منها إدارة شئون الاقاليم، وهذه الاقاليم عُيِّن على كل واحد منها ملك صغير، تابع للملك الكبير في مدينة سوبا، وقد امتدت علوة من مدينتها سوبا الى اجزاء واسعة من حدود السودان، فمن جهة الشمال تقع حدودها عند المنطقة ما بين الشلال الخامس وبربر، وبعض جهات دارفور وكردفان غرباً، وجنوباً حتى الجزيرة بين النيلين الابيض والازرق، ويحدها من جهة الشرق مملكة اكسوم المسيحية، والى الشمال من علوة توجد مملكة الابواب (التكاكي) التي كان يحكمها ملك صغير تابع للملك الكبير في مدينة سوبا (مسعد: ١٩٧٢: ٣٤).

غير ان الابحاث الأثرية التي تمت في منطقة النيل الاوسط منذ عام ١٩٥١م تعطى صورة ادى لحدود هذه المملكة ذلك انه عثر على بقايا كنائس في مناطق مختلفة على النيل الابيض عند بلدة القطينة وقوز رجب على نهر عطبرة وقرب خزان سنار على النيل الازرق (Eisa, 2007, 11).

الموقع الجغرافي لمدينة سوبا الأثرية:



تقع مدينة سوبا الأثرية على بعد ١٤ ميل جنوب الخرطوم على الضفة اليمنى للنيل الازرق، غير بعيدة عن نقطة التقائه بالنيل الابيض عند خط طول ١٥:٣١ شمالاً ودائرة عرض ٣٢:٣٦ شرقاً، وتعرف بسوبا شرق حتى يتم التمييز بينها وبين سوبا غرب المقابلة لها بالضفة الاخرى للنيل (Zarroug, 1992, 41).

خريطة رقم ١

موقع مدينة سوبا في الخريطة العامة للمالك المسيحية

المظاهر الطبيعية والطبوغرافية:

تمثل التربة احد السمات المميزة لهذا الموقع وقد لعبت دوراً كبيراً في الجوانب المعارية والاقتصاد الزراعي والرعي بالمنطقة، حيث يوجد بها نوعان من التربة وهي: التربة التي تقع بعيداً من النيل الأزرق حيث نجد حبيباتها زرقاء لأنها تحتوى على نسبة عالية من الاملاح والكالسيوم. تليها التربة التي تقع بالقرب من النيل الأزرق وهي تربة طينية غرينية، وهذا نتيجة لفيضان النيل بها.

أما عن مظاهر السطح فهو عبارة عن ارض مسطحة خالية من الصخور وبها كثير من التلال والرواسب "اكوام ترابية"، ويغطي سطحها الطوب المحروق والمخلفات والتربة (Ibid, 41).

الغطاء النباتي:

تنتشر بها نباتات السافانا حيث اشار شيني الى هذه النباتات وذكر عددا من انواع الاشجار مثل "السيال والسلم والسمر والسنت والطلح". اما الحشائش فتزداد كلما اتجهنا جنوباً، وكلما اتجهنا شمالاً كانت شبه صحراوية، وتتميز بأنها قصيرة (Lebon, 1965, 15).

المناخ:

تتميز بالمناخ الحار في الصيف، وشتاء جاف، ويمتد موسم المطر من مايو الى سبتمبر حيث ان متوسط هطول الامطار ١٤٠ ملم في الخرطوم وتزايد كلما اتجهنا شمالاً. وتتميز تلك المنطقة بالمياه الجوفية الوفيرة بعمق ٧ امتار في المناطق قرب النيل و١٤٧ متر في المناطق البعيدة منه (Zarroug, Op.cit, 41). ولعل هذا يفسر ان اهالى سوبا ربما كانوا يعتمدون في مصادر المياه على الابار ثم النيل الازرق مباشرة في المناطق الغربية منه، ولكن لم توجد دلائل اثارية توضح انهم استخدموا رافعات او مضخات، ولم توجد انواع من السبيل لان السبيل ظهر في الفترة الاسلامية.

مصادر الدراسة:

على الرغم من تعدد المصادر التاريخية التي تحدثت عن سوبا الا اننا نجد ضعف واحد في المصادر الدراسية التي تذكر سوبا في ازدهارها ابان الفترة المسيحية وكما الحال في فترة تدهورها

وانحلالها في الفترة المسيحية المتأخرة، عدا القليل من الدراسات المبكرة في مطلع القرن العشرين حيث لم يتم الكشف عن أية مبان ترجع للفترات السابقة للمسيحية، على الرغم من أن هناك بيئة أثرية تشير إلى أن الموقع كان مأهولاً خلال العصر المروني.

وبالتالي فإن المصادر الدراسية التي تحدثت عن سوبا سواء كان ذلك قديماً أو حديثاً يمكن تصنيفها أو التحدث عنها من خلال نوعين من المصادر وهي: المصادر التاريخية Historical Sources والمصادر الأثرية Archaeological Sources

أولاً : المصادر التاريخية : Historical Sources :

أ. النقوش : Inscriptions:

لعبت النقوش دوراً كبيراً في التعريف بمدينة سوبا وأسباب اختيارها كعاصمة لمملكة علوة المسيحية، حيث ورد اسم سوبا في عدد من النقوش التي تركها الملوك القدماء وأحياناً يرد ذكرها بأسماء أخرى مختلفة. حيث عرفت في المصادر والمراجع المختلفة بأسماء أخرى عديدة، وكانت في بعض الأحيان يطلق عليها "علوة" اسم المملكة نفسها، فقد ورد ذكرها على لوحة تركها الملك نستاسن ملك مملكة مروى في عام ٣٢٨ ق م بمناسبة تخليد ذكرى جلوس الإله آمون على عرش البلاد، وعُدّ في هذه اللوحة أقاليم البلاد ومن بينها إقليم علوة وعاصمتها سوبا، واحتلت مدينة سوبا المركز التجاري الثاني بعد مدينة مروى العاصمة (Shinnie, 1961, 11).

كما كان للكيش المروني الذي عُثر عليه في سوبا، وقد سجله للمرة الأولى كايو في عام ١٨٢١ وعلى قاعدة هذا التمثال جزء من خرطوش يحمل الاسم الملكي لأحد ملوك مروى، وشملت قائمة الموضوعات التي أوردها شيني التي يقال بأنها اكتشفت قبل أعمال التنقيب في ١٩٥٠-١٩٥٢ القليل من الآثار ما قبل المسيحية وجعرانين في الغالب من عصر نبته. كما تم الكشف عن رأس أسد زجاجية تعود للعصر المروني مما يدعم وجود معبد مروني أو نبتي في سوبا (Shinnie, 1961, 17).

وبالتالي فإذا كانت سوبا موقعاً مهماً خلال فترة ما قبل المسيحية بناءً على تلك النماذج التي وُجدت، فإن اختيارها عاصمة لمملكة علوة أصبح مسألة موضوعية، على الرغم من أن الأحداث المرتبطة بانتهاء الإمبراطورية المروية ونشوء الممالك النوبية الثلاث التي تحولت لاحقاً إلى المسيحية لازالت غامضة.

اما ذكر سوبا للمرة الثانية فقد ورد في نقش للملك عيزنا ملك اكسوم وذلك في سنة ٣٥٠م. ويسجل النقش الذي وجد في أكسوم أن الملك عيزانا غزا وادي النيل كرد فعل على هجمات شنها النوبا ضد حلفاء أكسوم وكان حينها قد وجد جيش النوبا قد استقر في المدن المروية حول ملتقى النيلين (Littmann, 1913, 11). كانت سوبا واحدة من تلك المدن احتمالاً، حيث ورد اسم مدينة علوة (سوبا) ضمن المدن المبنية بالطوب المحروق والتي وقعت في قبضته. وقد ذكر كيروان Kirwan ان علوة اسم قديم لانها ذكرت على نقش هيروغليفي في موقع النقعة الاثري قرب شندی تحت اسم Alut، أيضاً ذكر ان سوبا انشأت على ايدي جنود بسماتيك الغازين الى السودان في أواخر القرن السادس قبل الميلاد (Kirwan 1981, 116, Behrens, 1986, 117-).

(126).

يظل غير واضح لماذا تم اختيار سوبا عاصمة لمملكة علوة وذلك عندما آل الجزء الشمالي للإمبراطورية المروية لمصلحة النوباديين والبلبيين، يمكن أن تكون مروي قد أضحت منعزلة نسبياً وعرضة للهجوم حيث انها تقع أقرب الى الحدود الشمالية للدولة الجديدة، أو أن يكون هناك قرار مدروس بـ "تأسيس" عاصمة مسيحية جديدة بعيداً عن تأثير العبادات الوثنية المروية، ويمكن أن يكون معدل هطول الأمطار الأعلى في منطقة سوبا مع إمكانيات زراعية كامنة عاملاً في تحديد مكان عاصمة الدولة، ومع أن مملكة علوة كانت موجودة بحلول عام ٥٨٠م (Welsby, 1990, 44).

عندما سجل الأسقف البيزنطي ومؤرخ الكنيسة افيرس تحول ملكها الى المسيحية، إلا انه لم يذكر في أي مكان بأن سوبا كانت المدينة العاصمة التي زارها المبشر لونغينوس، وقد طرح كيروان اقتراحاً، أخذين في الحسبان وصف لونغينوس للمرحلة الأخيرة في رحلته والتي بعث بها في رسالة الى ثيودور - رئيس الأبرشية في الاسكندرية، أن موقع مروي بوصفها علوة يبدو محتملاً (Kirwan, 1987). حيث ان أقدم ذكر لسوبا بوصفها عاصمة لمملكة علوة نجده في القرن التاسع في "كتاب البلدان" لليعقوبي (مسعد، مرجع سابق، ١٠٣).

وان صحت الفرضية القائلة بان مروي كانت عاصمة علوة الأولى، فإن ندرة البيئة الدالة على المسيحية تشير الى أن مكانتها قد اغتصبتها سوبا مباشرة بعد سنة ٥٨٠ م، العام الذي تحولت فيه علوة الى المسيحية رسمياً، إذ لم يكن في وقت أسبق بقليل. فهناك من طرح فرضية مفادها

بأن إعادة استخدام معبد مروي في المصورات الصفراء ككنيسة كان مبكراً قليلاً حيث سبق تحول علوة الرسمي الى المسيحية (Torok, 1974, 89-90). وقد سجل جون الافسوسي وجود زوار أكسوميين مسيحيين في علوة (Vantini, 1975, 20).

هناك من يحاول الربط بين سوبا وسبأ على أساس انها من عمل السبئيين، وتم تحريف إسمها بعد ذلك من سبأ الى سوبا، الا ان هذا الزعم لا يوجد له دليل يدعمه.

إن المعرفة باحوال سوبا وتجارها كانت قليلة جداً خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين وهذه هي الفترة التي تغيرت فيها الثقافة عند إنتشار المسيحية من العاصمة الى أطراف المملكة، الا أن كتابات المسلمين عن سوبا جعلت منها مدينة هامة في أعين المصريين وتمت زيارتها بعد ذلك بواسطة الرحالة والتجار في أواخر القرن العاشر الذين اشاروا الى ان سوبا المسيحية كان بها حتى للمسلمين.

ب. المصادر الكنسية: Christian Sources

لم توضح الكتابات التاريخية بداية سوبا بينما ورد ذكر مملكة (علوة) لأول مرة في كتابات يوحنا الافسوسي (John of Ephesus) الذي يعد احد مصادر الدراسة لهذه الفترة، والذي تحدث عن دخول الدين المسيحي الى سوبا ومعاونة المبشر لونغينوس في الوصول اليها في نشر الدين المسيحي.

ج. الرحالة والدارسين: Travelers & Scholars:

اعتمدت كتابات المؤرخين العرب على زيارة كل من ابن حوقل (٨٤٤) الذي ذكر سوبا حاضرة علوة، وان ملك علوة اكثر ثروة من ملك المقرة، وان ارض علوة كثيرة المحاصيل، ولهم خيول في انتاج جيد، ومواشي اكثر من اهالي دنقلا، ولهم نوع من الذرة ابيض اللون، ولكن عندهم قليل من النخيل والدوم، ويقول ان من أعمر بلاد النوبة نواحي علوة وهي ناحية لها قرى متصلة وعمارات مشتبكة حتى ان السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بقرى عدة غير منقطعة الحدود ذوات مياه متصله بسواق من النيل (فانتيني، ١٩٧٨، ١١٢).

كذلك نجد كتابات اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ - ٨٩٧م)، والذي ذكر مدينة سوبا عاصمة مملكة علوة حيث يعيش الملك، وارجع مدينة علوة (سوبا) الى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد.

ثم جاء المسعودي (٣٣٢هـ - ٩٤٣م) فقدم وصفاً لمدينة سوبا وقصورها ومبانيها، أما ابن حوقل (٣٥٠هـ - ٩٦١م) فقد ذكر ان من أعمر بلاد النوبة نواحي علوة، وذكر بانها قرى متصلة، وانها ذوات مياه متصلة بسواق من النيل، وتحدث كذلك عن امتداد مملكة علوة. (المرجع نفسه). كما زارها ابن سليم الأسواني (٣٨٦هـ - ٩٦٦م) في القرن العاشر الميلادي، ويعتبر من اهم المؤرخين والجغرافيين العرب حيث قدم وصفاً للممالك النوبية، وبالرغم من ان اعماله فقدت الا ان المقرئ قد حفظ لنا بعضاً منها، وذكر ان سوبا هي عاصمة مملكة علوة، وانها تقع شرق الجزيرة الكبرى، ووصفها وصفاً جيداً وقال عنها (اما سوبا مدينة العلوى شرق الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر (الازرق) في الطرف الشمالى منها عند مجتمعا وشرقيها النهر الذى يجف ويسكن بطنه، وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنايس كثيرة الذهب ويسانين ولها رباط فيه جماعة المسلمين غالباً كانوا من "التجار" (المرجع نفسه، ١١٣).

وكانت تجارة العاج وجلود الحيوانات ذات أهمية كبيرة، كما ان حي المسلمين الكبير في سوبا الذى يذكره الأسواني يشير الى وجود علاقات وصلات تجارية قوية مع العالم الإسلامي، ويحكي اليعقوبي عن زيارات للمسلمين الى سوبا ليستمعوا الى الأخبار الخاصة ببدا الفضان (Vantini, 78 Op.cit).

يتضح من وصف ابن سليم الأسواني بامكانيات مملكة علوة التي تتفوق على المقرء وهذا يؤيد الواقع الجغرافى الذى لا يتغير كثيراً فإتساع رقعة علوة وهطول الأمطار فيها وتوفر المراعى والزراعة المطرية يجعلها من الناحية الزراعية والرعية مجالاً حيوياً لحشود القبائل العربية من رقعة دنقلا الضيقة ومسيحياتهم حتى عند الذين إعتنقوها من السكان لم تكن بدرجة من التعصب تجعلهم يقاومون هذا الزحف العربى المتدفق.

كما اشار اليها الادريسي (٥٦٠هـ - ١١٦٥م) في كتابه صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، وذكر سوبا تحت اسم مدينة علوة، الاسم الذى يذكر بها في بعض المرات وتحدث عنها وعن موقعها بقوله: "ومن بلاد النوبة مدينة علوة وهى على ضفة النيل اسفل مدينة دنقلا، وبينهما مسيرة خمسة ايام في النيل، وماؤهم من النيل وشربهم منه، وعليه يزرعون الشعير والذرة وسائر بقولهم من السلجم والبصل والفجل والغثاء والبطيخ، وحال علوة في هيئتها ومبانيها ومراتب اهلها وتجاراتها مثل ماهى عليه حالات مدينة دنقلا، واهل علوة يسافرون الى بلاد مصر

وبين علوة وبلاق عشرة ايام في البر وفي النيل اقل من ذلك إنحداراً، وطول بلاد النوبة على ساحل النيل مسير شهرين وأكثر كذلك اهل علوة ودنقلا يسافرون في النيل بالمراكب وينزلون أيضاً في مدينة بلاق في النيل". ونلاحظ هنا أن الإدريسي أوضح الحالة الاقتصادية لاهل علوة من زراعة وتجارة.

كما كتب ابو صالح الارمني في السنوات المبكرة من القرن الثالث عشر وقدم وصف لمدينة علوة (سوبا) ووصفها بأنها مدينة عظيمة، وذكر ان عدد الكنائس بها يصل الى اربعمئة كنيسة وان جميع من بها نصاري يعاقبه، ويضيف ان بها كنيسة عظيمة جداً متسعة محكمة الوضع والبناء اكثر من جميع الكنائس التي بها وتسمي هذه الكنيسة بكنيسة منبالي (Ibid,79). ويعد هذا الوصف اساساً لجميع الاخبار التي جاءت فيما بعد من القرن الثالث عشر الى تاريخ ظهور مملكة الفونج.

بجانب ما ذكره الرحالة البرتغالي الفارز الذي زارها في اواخر القرن السادس عشر الميلادي في عام ١٥٧١م بان بها عدد كبير من الكنائس تزيد عن ٤٠٠ كنيسة، وان سكانها ليسوا بمسيحيين ولا مسلمين ولكنهم يتمنون ان يصبحوا مسيحيين (El varez, 1570).

أيضاً تمت زيارة موقع سوبا عدة مرات في التاريخ الحديث خلال القرن التاسع عشر بواسطة الرحالة والجغرافيين ومنهم فريدريك كايو (Cailliaud) والذي قام بزيارة لموقع سوبا في عام ١٨٢١م وشاهد بعضاً من اثارها. (Cailliaud:1821)، وكذلك ليبسيوس (Lepsius) الذي زار مدينة سوبا في عام ١٨٤٤م وشاهد عدداً من الاثار التي وجدت بالموقع (Lepsius, 1844).

ثانياً: المصادر الاثرية والدراسات: Archaeological Sources and Modern Studies

جاءت بداية النشاط الأثري بموقع سوبا شرق في عام ١٩٠٣، وقام بالعمل فيه E. A. W. Budge، كما عمل Budge في عام ١٩٠٧م، وأشار وقتها الى ان المباني الجانبية للعديد من بوابات المدينة بحجم معتبر، وبعد أعمال تنقيب في الكنيسة في الكوم (C) قام بدج والكولونيل ستانتون بدراسة بقايا بوابة حجرية والتي يقول عنها لم تبدو بذاك القدم مثل المعبد والذي اعتقد أنه موجود تحت الكنيسة. لم يقدم بدج أية إشارة بالنسبة لموقع تلك البوابات ولا توجد بيئة على ذلك اليوم، ومن خلال اعمال المسح الأرضي والصور الجوية يبدو أنه كانت هناك دائرة دفاعية (Budge, 1907, 42).

عندما وصف بدج الكنيسة في الكوم (C) لاحظ أن الأطلال تشير الى أنه في الفترات المبكرة من العصر المسيحي قد حول معبد دُفنت معظم اجزائه الى كنيسة، حيث قامت تلك الملاحظة أيضاً على الكبش المروي الذي عثر عليه في منطقة الكنيسة.

كذلك وصف بدج أطلال الكنيسة في الكوم (C) بأنها ذات أهمية كبيرة حيث نقب بالاشتراك مع الكولونيل ستانتون حول الأعمدة القائمة وعثرا على عدد من المساطب المبنية بالطوب اللبن يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار تقريباً. اتضح أن مسطبتين منها تغطيان مدافن خالية من أية مرفقات جنائزية (Ibid, 43-44).

في عام ١٩١٠م أعاد سومرز كلارك تنقيب جزء من الكنيسة، ونشر خريطة حدسية للمبنى (Clarke 1912, 36).

قامت مصلحة الآثار السودانية في بداية الخمسينات باجراء حفريات استمرت لموسمين (نوفمبر ١٩٥٠ - فبراير ١٩٥٢) وكان فريق العمل في الموسم الاول يضم كلا من كينيث مارشال K. Marshal وعبدالرحمن آدم، اما الموسم الثاني فكان اعضاء فريق العمل ولموسمين بقيادة بيتر شيني P. L. Shinne بمشاركة كل من كينيث مارشال K. Marshal وثابت حسن ثابت ومارغريت شيني Margrate Shinnie (Shinnie, 1961, 11).

وما بين الأعوام (١٩٨١-١٩٨٦م) قام المعهد البريطاني في افريقيا الشرقية باجراء حفريات بسوبا دلت على وجود دلائل لعصر مروي في منطقة سوبا، مما يوضح انها كانت خاضعة لمملكة مروي قبل سقوطها وقبل دخول المسيحية الى سوبا، وقد عثر على كبش للاله آمنون في موقع سوبا وهو موجود الآن في متحف السودان القومي. كما قامت بعثة المتحف البريطاني باجراء حفريات في موقع سوبا شرق في عام ١٩٩٠م، وقد استمر العمل فيه لمدة اربعة مواسم (Welsby & Daniels, 1991, 1-3).

تعمل الان البعثة الاسبانية بالشيخ الامين بالقرب من سوبا منذ اواخر التسعينات وحتى الان، وهناك ايضا بعض الاعمال الانقاذية التي نفذتها الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية بسبب قيام كبرى سوبا الجديد عام ٢٠٠٩م، وقد اسفرت التنقيبات عن وجود انماط مميزة لفخار سوبا المسيحي والفخار المروي بالموقع.

اما الدراسات الاثرية الحديثة فنجد دراسة محي الدين زروق الذي تناول بالتفصيل تاريخ علوة من خلال الاثار والتاريخ والثقافة الحالية وذلك في عام ١٩٧٢، تلى ذلك دراسة رباب الوسيلة عن التاريخ الحضاري لمملكة علوة في عام ٢٠١٠م، بالاضافة الى كتابات احمد المعتصم عن مملكة التكاكي وعلاقتها بمملكة علوة في عام ٢٠١١م.

النشاط الثقافي والاقتصادي في سوبا:

هناك العديد من الأنشطة الدينية والثقافية التي تميزت بها سوبا، ففي الجانب الديني يذكر المؤرخ الافسوسي ان الاسقف لونجينوس هو الذى ادخل المسيحية الى المملكة في عهد الملك "اورقبولا" الذى طلب من ملك نوباطيا ان يرسل له الاسقف لونجينوس . وبعد وصول الاسقف الى علوة شرع للملك واهل البلاط والاعيان والشعب مبادئ الديانة المسيحية حسب معتقدات اليعاقبة (فانتيني، مرجع سابق، ٥٠) .

ويقول ابن سليم ان أساقفتهم مثل أساقفة النوبة تحت طاعة البطريك الاسكندري وكتبهم الرسمية مكتوبة باليونانية فيفسرونها الى لهجاتهم، وان مدينة سوبا كانت مقراً لاحد الأساقفة لكونها العاصمة. حيث ينعكس النشاط الديني المسيحي من خلال الثقافة لهذا النشاط الديني المسيحي ويظهر بوضوح في الكنائس خاصة في منبالي (Zarroug, Op.cit, 83).

اما الدين الاسلامي لم يكن الواقع الاخر اشارة بن سليم في كتاباته بان هناك حي للمسلمين "حي تجار". حيث دلت الدلائل الاثرية على وجود كنائس ضخمة ومزخرفة ووجود كاتدرائية بمدينة سوبا يشر الى مدى تعمق الديانة المسيحية للدولة. أما النشاط السياسي فينعكس في نظم الحكم والأمن فهناك وجود لجيش كبير في سوبا مما يدل على وجود نشاط سياسى، وهذا النشاط السياسى كان أكثر تأثيراً من النظام القبلى في تنظيم العلاقات والتجارة وخلق نظام آمن (Ibid, 84).

كذلك فقد كان لهم نشاط اقتصادي يعتمد على الزراعة والرى حيث ان البيئة والمناخ والامطار تساعد على ذلك. ومن النشاطات الاقتصادية التجارة والتي ساعدت في انتعاش التجارة بموقع سوبا في وسط السودان مما جعلها ان تكون موقع تصدير لعناصر مهمة مثل الذهب والعاج، والصمغ، عطر البخور، سن الفيل، ووحيد القرن، وهذا جعلها ان تكون موقع وسط لطرق القوافل التي تأتى عبر البحر الاحمر واثيوبيا في الشرق الى الغرب في تشاد وأعالى النيل

وبالنسبة للجنوب عبر طريق النيل الى مصر. حيث اشملت هذه العناصر التصدير - طرق الملاحة - موانى البحر الاحمر- طريق القوافل.

أما النشاط الاجتماعي فقد سعى السكان ان يتعاونوا حتى يستطيعوا التكيف مع البيئة من حولهم ومن ثم خلق علاقات اجتماعية اسرية، ففي سوبا انعكس ذلك من خلال المباني ذات الغرف المتعددة ووجود الدين والكنائس والمقابر والتي بدورها برهنت على ان هنالك علاقات اجتماعية، حيث يشير تعدد الغرف في المبنى الواحد الى ان المبنى ربما يكون مقر يخص اسرة واحدة ممتدة من الجد الى احفاده (Ibid, 83-84).

النواحي المعمارية والهندسية:

العمارة المدنية:

اثبتت الحفريات التي اجريت في المنطقة ان طراز المباني الموجود في سوبا قديماً هو نفس طراز المباني الموجودة حالياً في وسط السودان، من ناحية الحجم ومواد البناء ومن الناحية المعمارية (Ibid, 47). حيث ان مجموع ستة من المباني التي كشفت عنها الحفريات الاثرية في الروابي كونت إلينا مايعرف بالتاريخ المعمارى لسوبا. حيث وجد شيني في حفريته عام ١٩٥٢م في الربوة الاولى مبنى يتكون من:

١. الوحدة العليا: وهي تكون مباني الاسوار العليا المملوء بالروابل والطوب المجفف بالشمس والطوب المحروق.

٢. الوحدة الدنيا: وهي تتكون من عدد من الغرف تحيط بها اسوار خارجية تسمى برندات خارجية حيث وجد ان هناك غرف خاصة بالطبخ لوجود "الرماد" والادوات الفخارية، وهناك غرف لمخازن الغلال، وهكذا وجد في الربوة الثانية A.B انها تتكون من مبنى مفرد، هذا المبنى يتكون من ٧ غرف يوجد بها مدخل يؤدي الى الصالة الداخلية وغرف اخرى صغيرة.

وايضاً وجد في الربوة الثالثة وهي الوثيقة الاخيرة لهندسة المباني وهي اكبر ربوة معقدة في سوبا.

وكما ذكر شيني ان الربوة مكونة من مبنيين واسعين ومتفرقين في آنٍ واحد كما موضح من كمية الروبل الذي يوجد بكثرة في الغرف ذات المستوى الادنى (Shinnie, 1955, 23).

المبنى الاعلى يتكون من وحده تحوى غرفة كبيرة فى الوسط بمقياس ٩,٠×١٠,٥ متر ويرتبط بها بقايا اربعة انصاب تذكارية تدعم السقف. والوحدة تتضمن عدد من الغرف الصغيرة المفتوحة فى الغرفة الوسطى وكل هذه المباني مبنية من الطوب المحروق مع كميات قليلة من الطوب المجفف بالشمس، اثنان من هذه الغرف ليس لديها ابواب واضحة، ومدعمة بالزجاج هذا المبنى يوضح الدليل الاول لمعرفة الشباك وهو من الزجاج المطور فى مزيج الطيب (Ibid, 23-24).

أما حفريات ويلسبي فى الأعوام ٩١-١٩٩٢م فقد اظهرت حائط دائرى من خشب الاشجار لبيت صغير مساحته ٦,٧٥ متر، وهناك هندستين مختلفتين من خشب الاشجار ألحقت بهذا الشكل "المبنى" وموجود شان فى الواجهة الامامية للمبنى "F" وقد تم بنائها من الطوب المحروق. واثبتت الحفريات فى المبنى "F" وجود فترتين استيطانيتين بالرغم من المعاصرة بين الشكلىين الا ان الزيادة محدثة.



لوحة رقم ١

احد الغرف المكتشفة وتظهر بعض الاواني الفخارية

الشكل الاول : يشغل مساحة ٢٢,٥×١٣,٥ متر وتوجد به عدد من الغرف واحدة فى الشرق والاخرى فى الغرب بجانب غرفة اخرى بالجهة الجنوبية الغربية، وفى الجهة الشمالية الغربية هناك صفاً من ثلاثة غرف والغرفة التى فى الوسط وشيد هذا المبنى بالطوب المحروق واستخدمت المونة من الطين.

الشكل الثاني : يشغل مساحة ٤٠,٥" x ٢٧ متر ونجد فيه اختلافات في نظام البناء وفي احجام الطوب، والزيادة والاصلاحات في المبنى التي شيدت من الطوب المحروق وتنقسم الى ثلاثة اقسام:

١. الجانب الجنوبي وهو مشيد بعدد كبير من الغرف.

٢. الغرف التي في شرق المبنى.

٣. الغرف التي في غرب المبنى.

وهذا المبنى يوضح انه استخدم للمعيشة، حيث وجد خمسة غرف بها افران مربعة الشكل موضوعة على ارضيات رملية وغرفتين بهما فرنين صغيرين شبه دائريين مع عدد من المخازن، وقد وجد بها القطع الفخارية وهو فخار بلانه وهى صناعة تؤرخ للفترة بين القرنين الرابع والسابع ق.م.

وقد وجد بها ايضاً صليب مستطيل من الخزف بزخارف في احدى النهايات فوق الزخارف في بقايا المبنى الاول خاصة الناحية الغربية، وفي التقديرات الجديدة الحديثة للمبنى لم توجد أي اثار للبناء بالخشب فقط في وسط المبنى وربما كان عبارة عن سور.

وكذلك اظهرت الحفريات في المبنى "G" أنه مشيد من الطوب اللين مسور في شكل مستطيل

مساحته ٣١,٥ x ٢٤,٦ متر (Welsby, Op.cit, 67-74).



لوحة رقم ٢: تنظيم وتخطيط الغرف

في احد المباني المكتشفة بالموقع

المعمار الديني (الكنائس):

أما عن نوع الكنيسة في سوبا فقد كانت شبيهة بالكنائس في النوبة وقد بنيت من الطوب المحروق ونوعها يعرف بالبازليكا Basilica وفقاً لنماذج الكنائس اليونانية في سوريا وفلسطين.



لوحة رقم ٣

اثار الحفر لاحد الكنائس الصغيرة بالموقع

كانت معظم الكنائس من الحجم الصغير حيث نجد الكنيسة مستطيلة الشكل فيها ممرات من الجهة الشمالية والجنوبية تفصلها من صف الكنيسة سلسلة من الاعمدة وعند طرف الكنيسة الشرق نجد فيه من الداخل وامامها "المزيج" يعرف هذا الجزء من الكنيسة بالهيكل في الكنيسة القبطية، وإزدانت جدرانها الداخلية بصور السيد المسيح والسيدة مريم العذراء والحواريين الأثني عشر.

اما عن المنبر فعادة نجده بالقرب من اخر عمود في الناحية الشرقية من الممر الشمالى ودائماً مانجد في الجزء الغربي من الكنيسة برجاً في الركن الجنوبي واخر في الركن الشمالى، اما الداخل فنجدها في الجدران الشمالى والجنوبى وتدلنا الكنائس في سوبا على تصميم اكثر دقة الى حد ما ذلك للزيادات التى اضيفت على البناء الاساسى من الجهة الشمالية والجنوبية، ونلاحظ ان معظم هذه الكنائس التى تبنى بالطوب التى كانت كنائس قرى بسيطة متواضعة لم تدل على مهارة معمارية (شيني، ١٩٥٤، ١١). وقد وجدت العديد من الحفر التى شيدت عليها دعائم الكنائس.



لوحة رقم ٤
ارضية من الرخام لاحد غرف الكنيسة

المقابر في سوبا:

في عام ١٨٥١م وصل الى سوبا الكاردينال ماسايا، يصف الكشف عن مدفين، كانت الأجسام فيها منبوشة والعظام متناثرة، وقد عثر على صلبان في المدفين، تشكل المداخل في كل من المدفين عن طريق أربعة ألواح ضخمة من الطين المحروق، حوالي ١ متر طولاً و ١/٢ متر عرضاً، مثبتة على الجدار المحيط.

كانت بعض تلك الألواح في وضعها الطبيعي، بينما الأخرى تعرضت للكسر بفعل ازالة الجدران. كما وجدت بعض الحروف القبطية والإثيوبية في النقوش التي غطت الألواح (Toniolo and Hill 1974, 311-12).

احتوت مقابر تم الكشف عنها في عام ١٩٢٥ م في ود الحداد على جرار فخارية، بعضها من الأنواع المشهودة أيضاً في سوبا، مزخرفة بأشكال مسيحية لا شك فيها محتويات جنائزية مرتبطة بمدافن لأناس مسيحيين معروفة في أماكن أخرى من النوبة (Balfour Paul 1952, 202-215).

أما في الفترات اللاحقة فقد اكتشفت في الحفريات التي تمت بالموقع عدداً من المقابر بوا اسطة ديريك ويلسي في موسمي "٨٩-١٩٩٠" (٩١-١٩٩٢) حيث اكتشفت ١٤ مقبرة شرق وشمال الكنيسة موسم "٨٩-٩٠" وكلها تحوى هياكل بشرية (Welsby & Daniels, 1991, 1-3).

وقد رصت المقابر من الشرق الى الغرب كما في الكنيسة الاخرى والهياكل موضوعة في جهة الغرب- خمسة منها موضوعة على ظهرها هذا غير الدائرية التي توجد الى الشرق من وسط الكنيسة وسبع مقابر اخرى وجدت كما هي موجودة في سرادب الكنيسة الشمالية، والراس

منكفىء على طوب تحت الكتف واحياناً على الجنب، واحياناً يكون الطوب على جانب الهيكل للحماية، والارجل معكوسة عند الركبة واليدان عند الحوض، وهناك اجزاء من نسيج وقد وجدت من الجلد والسعف حيث وجدت اجزاء من النسيج في المقابر في الكنيسة الشمالية اكتشفت مقبرة عام ١٩٨٩م تضم ١٦ هيكلًا لبالغين وجدوا مع بعضهم الى جانب بعض الاجزاء من المنسوجات و٢٣ مقبرة في الشرق والجنوب على بعد ٣ امتار من السطح وفي ارض مرتفعة قليلاً (Welsby, 1991, 1-3).

الفخار:

بالرغم من انه تم العثور على فخار مراحل انتقالية ما بين المروية المتأخرة وفخار سوبا القديم الا ان سوبا كان لها فخارها المميز والخاص بها ويظهر هذا الفخار او اجزاء منه بكيات كبيرة على سطح الموقع. وحتى في غير موقع الاثار كانت تظهر في داخل المنطقة السكنية بسوبا شرق بعض اجزاء الاواني الفخارية.

لقد تم العثور على العديد من آثار علوة في مدينة سوبا، ولعل أهم هذه الموجودات هو الفخار الذي إمتازت به علوة وله أنواع مختلفة من فخار الدوكة (Doka) الذي يطبخ عليه أهل علوة الذرة حتى يصير خبزاً، كما وجدت أنواع أخرى للفخار منه الأحمر المصقول والأسود المصقول أيضاً، كما عثر على أعمدة الكنائس والعديد من المباني بالطوب المحروق (Shinnie, 1961, 42-49).

من فخار سوبا يعرف بالدوكة (Doka) لونه اسود، خشن الملمس وسميك وهي تماثل الدوكة الحديثة وهي عبارة عن الاناء الذي يطبخ عليه عجينة الذرة ليصبح خبزاً، ايضاً من الانواع الاخرى لفخار سوبا الفخار الاحمر المصقول وهو منتشر في الموقع من الانواع جيدة الصناعة، يطلي باللون الاحمر ويتم صقله وكذلك الفخار الاسود المصقول يطلي باللون الاسود ويتم صقله ايضاً وهو عادة اسود ولكن في كثير من الحالات نجد ان الحرق يترك به رقع باللون البني. فخار سوبا ينتهي بنهاية القرن الخامس عشر حيث بدأ يظهر قليل من فخار الفونج بعد ذلك.

استمرت صناعة الفخار بعد ذلك لفترة من الزمن حتى حوالي الستينات من القرن الماضي اذ كان يتم عمل الدوكة وبعض الاواني الفخارية الأخرى، الا انها توقفت بعد ذلك.

كما وجد بها القطع الفخارية وهو فخار بلانه وهي صناعه تؤرخ للفترة بين القرن الرابع والسابع ق.م وقد وجد بها صليب مستطيل من الخزف بزخارف في احدى النهايات وفوق الزخارف.

مؤخراً تم الكشف عن فخار مشابه لذلك المكتشف في سوبا في مناطق دلتا القاش التي تبعد 350 كيلو متراً الى الشرق (Fattovich, 1984, 399- 406)، في رأي فانتييني سكن في وادي القاش في القرن العاشر الباقلين (نافلين)، وهم قبيلة مجاوية وصفهم ابن حوقل بانهم رعاة مسلمين رُحل يحكمهم ملك تابع للملك علوة. كما وجدت بعض المواقع من أصل مسيحي في غرب السودان أيضاً، كما أعلن آركل عن اكتشاف شقفتي فخار من نوع مسيحي نوبي في عين فرح بدارفور في مبنى تم التعرف على انه مسجداً (Arkell, 1959, 115-119).

وهناك موقعان آخران في غرب كردفان، أبوسفان وزنكور منتميان لتاريخ مسيحي (Houghton, 1965, 200). حيث تم العثور في الموقع الأول على أباريق حجاج وقد تمت ملاحظة فخار نوبي مسيحي متأخر في تشاد في كورو تورو وبوشيانجا (Shinnie, 1971, 49). هذه الادلة تشير بوضوح الى الامتداد الكبير لمملكة علوة في نواح عديدة من حدود السودان الحالي عن طريق حاضرتها سوبا.

على بعد أربعة كيلو مترات الى الغرب من سوبا، بالقرب من أم دوم، توجد أكوام من الطوب الأحمر يتناثر فوقها فخار مماثل للفخار الذي تم الكشف عنه في موقع سوبا. وفي شمال شرق الخرطوم، كان هناك في الغالب مركز مسيحي يضم منشآت ضخمة (Shinnie, 1971, 49). في منطقة بري الى الجنوب من محطة كهرباء الخرطوم تم الكشف في عام ١٩٢٩م عن جدران من الطوب المحروق في ارتباط بفخار مسيحي مميز، بما في ذلك شقف عديدة من نوع فخار سوبا، كما وجدت شقف أخرى لأمفورا مستوردة (Addison, 1930, 285-288).

الزخارف:

اما الزخارف فكانت مقصورة على الرسوم والنقوش ولا بد ان الجدران الداخلية كانت تغطي في الأصل بمشاهد دينية مرسومة، ولكن لم تبقى هذه الرسوم الا في حالات نادرة جداً. وتوجد هناك نقوش اخرى اغلبها للقدسيين ولكن هناك ايضاً مشاهد من الانجيل واخرى لميلاد المسيح والانفصال العام لهذه النقوش والرسوم هو انفصال البساطة وعدم النضج

ولكن يظهر محاسن الرسامين وعزمهم بما لا يدع مجالاً للشك، والملاحظ ان الزخرفة المعمارية كانت نادرة جداً (شيني، مرجع سابق، ١٠، ١١).

الفلكلور والادب الشفاهي بموقع سوبا:

ويشمل القصص والاساطير والحكايات التي ارتبطت بالموقع، واحدة من هذه الحكايات يرويها لنا ابن سليم الاسواني حيث يقول (ومما في بلدهم العجائب، ان في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنساً يعرف بالكرسا له ارض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذور، واختط على مقدار مامعه وزرع في اربعة اركان الخطة يسيراً).

وجعل البذر في وسط الخطة وشيئاً من المذر وانصرف عنه. فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المذر. فاذا كان وقت الحصاد حصد يسيراً منه ووضع في موضع ارادته ومعه مذر وينصرف فيجد الزرع قد حصده بأسره

فاذا اراد دراسة وتربيته فعل به كذلك، وربما اراد احدهم ان ينقي زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شئ من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع . ويقول (وهذه الناحية) التي فيها ماذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد قال (وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة ، فاما اهل الناحية فيزعمون ان الجان تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتقذفهم بحجارة ينصاعون لهم بها وتعمل علم عجائب وان السحاب يطيعهم (مسعد، مرجع سابق، ١٠٣).

ان التراث الشعبي بمنطقة سوبا شرق حالياً يذكر قصص وروايات عن ظهور بعض المخلوقات التي يقال انها من الجان وتظهر هذه الاشياء كما تقول الروايات والشفاهة في شريط من المنطقة يعرف بدبة حمري وكانت تتواتر عنها القصص والروايات حتى عهد قريب.

توجد على ضفاف النيل الازرق قبيلة تسمى همج بضواحي الرصيرص وهم احفاد الهمج او العنج المسيحيين الذين سكنوا مدينة سوبا في العصور السالفة، وتوجد في منطقتهم بعض القرى المدعوة (سوبا) وقد تكون هذه تخليداً لمدينة اجدادهم ومن اقدس ايمانهم:

احلف بسوبا - دار الجد والحبوبة

الي يطفح الحجر - ويغطس الكركعوبة.

ولديهم صيغة اخري للحلف وهي ان يقف الحالف على كوم من النفايات المعروفة. وقد يكون هذا تذكراً لمدينة سوبا المدمرة ويقدم له قليل من مسحوق الملح والرماد والدقيق من الذرة، يذوقها ثم يلتقط من الارض قطعة صغيرة من الخشب ويكسرها فوق رأسه ثم يؤدي القسم.

لأنستطيع ان نجد تفسيراً لهذه الطقوس الا اكرام الاهالي لمدينة سوبا، واعتاد اهل الهمج او العنج ان يرسموا بفحم الحطب اشارة صليب على جبين المولود الجديد واذا مرض احد الفتيان او اصابه الاعياء يؤخذ قليل من التراب ويرسم على صدره علامة صليب. وفي المناطق التي تسكنها قبائل (الانقسنا) وغيرها نجد ايضاً بعض القرى المدعوة سوبا

نجد لديهم ايضاً مايعرف بالجده سوبا، وهي عبارة عن صخرة خارج القرية، يتم اللجوء اليها في كل المناسبات المختلفة مثل الولادة، الطهارة، الزواج والموت، هذه الصخرة عند هؤلاء العنج تماماً مثل النيل عند مجموعات النوبة في شمال السودان يذهبون اليه في مختلف المناسبات.

وهناك رواية اخرى نستقيها من التراث الشفاهي لمنطقة سوبا شرق وهي رواية مشهورة جداً تنسب الى امرأة تدعى (عجوبة) وكانت لها بنت غاية في الجمال وكان الوزراء بمملكة علوة يتقدمون لطلب الزواج من ابنتها وكانت عجوبة توهم كل وزير بانها سوف تزوجه من ابنتها ولكن عليه ان يقوم بقتل الوزير الذي سبقه لطلب الزواج من ابنتها، فيفعل الوزير هذا ظناً منه انها ستحقق له مايريد، ولكن عندما يأتي وزيراً اخر، تطلب منه هذا الطلب ايضاً فيقال انها تمكنت من قتل جميع الوزراء بمدينة سوبا بهذه الزريعة، مما اضعف ملك سوبا وادي فيما بعد الى خرابها كما تقول الرواية (عجوبة التي خربت سوبا) (نفس المرجع، ١٠٣).

هذه الرواية بالرغم من انها لم تجد حتى الان مايبثت صحتها والتأكد من حقيقتها. الا انها وفي الوقت نفسه لم تجد ماينفيها، كما انه هذه المرأة يحتمل وجودها ومساهمتها المباشرة في اضعاف حكم سوبا ان لم يكن تخريبها، كما انه لم يتم التأكد ما اذا كانت هذه المرأة قد قامت بهذا العمل لصالح جهة معينة ام كان تخطيطها هي فقط. وربما كان تأمر هذه المرأة على قتل جميع الوزراء وهو التمهيد لخراب سوبا ليأتي بعد ذلك الحلف الفونجاي العبدلبي الشهير ويدمر هذه المدينة تدميراً كاملاً..

تدهور واضمحلال سوبا:

لا تتوفر لدينا معلومات واخبار كافية عن اضمحلال وسقوط سوبا الذي يجب ان يقترن مع مجئ الفونج في مطلع القرن السادس عشر، ويتفق العرف المحلى مع اخبار الفونج في ان سوبا سقطت نتيجةً لتحالف عمارة دونقس ملك الفونج وعبدالله جماع زعيم العرب المسلمين.

وعلى الرغم من ذلك الا انه يمكننا القول انه قد تضافرت عدة عوامل أدت الى سقوط مدينة سوبا وبالتالي سقوط ونهاية مملكة علوة حيث تعرضت لهجوم من جيرانها والدخول في نزاعات معهم، فمثلاً تعرضت المملكة لاغارات مملكة الزغاوة ومنذ القرن الثاني عشر الميلادى على طرق القوافل التجارية ما بين بحيرة تشاد غرباً الى النيل شرقاً وظلت المملكة في عمومها وحاضرتها سوبا موضع تهديد الزغاوة حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى

ثم ان طمع جيرانها في الحصول على الرقيق منها، أدى الى نزاع مستمر بين ملوكها واولئك الجيران في الشمال او الغرب، فملوك المقررة مثلاً لجأوا الى شن الهجوم على جيرانهم للحصول على الرقيق لدفع البقطة، إذ لم يتوافر لديهم منه عدد كاف، فضلاً عن الإتجار فيه وهذا النزاع بدا واضحاً في القرن الثالث عشر واولئل القرن الرابع عشر الميلادى.

كما شكلت هجمات السود من الجنوب تهديداً اخر وضغطاً على إمكانيات البلاد وعلى مواردها البشرية وهذه النزاعات أدت الى إضعافها والتقليل من قوتها ونفوذها.

وكان للعامل الدينى أثره في إضعاف هذه المملكة، إذ كان لقطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة، وتوقف إرسال الأساقفة المصريين الى بلاد النوبة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى اثر خطير في حياة النوبيين الدينية، فأهملت الطقوس الدينية وهجرت الكنائس النوبية وخرب معظمها ومما زاد في عزلتهم سقوط مملكة المقررة في الشمال وإعتناق أهلها الإسلام.

من العوامل الأخرى التى أدت الى تدهورها ازدياد مجموعات المهاجرين العرب الذين تسللوا الى مناطق الحدود ثم توغلوا الى قلب البلاد، وعقد هؤلاء مصاهرات مع السكان المحليين وسيطروا على المراعى، وبذا تسببوا في تآكل النسيج الاجتماعى وقوضوا السلطة المركزية، وفي

النصف الثاني من القرن الخامس عشر، أتاح التحلل العام الفرصة للعرب لكي يستقروا في قلب البلاد قرب مدينة سوبا.

وحتى وقت قريب، كان سقوط مملكة علوة يرجع عادة الى ١٥٠٤م، وهو عام قيام سلطنة الفونج حينما انهارت عاصمتها في سوبا، ومع ذلك فليس من الضروري ان الحدثين وقعا في الوقت نفسه وليس هنالك مبرر كاف لنبذ الرواية القديمة التي تقول ان سوبا إستولى عليها العرب، وتصف الروايات الشفاهية هذه العملية بأنها كانت من تنظيم وتحت قيادة زعيم هو عبدالله جماع من قبيلة القواسمة، وقد وجه الهجوم وفقاً لطغيان مزعوم من قبل ملوك علوة، وتم الإستيلاء على مدينة سوبا وربما تدمرت وكفل آل عبد الله لأنفسهم السيطرة على القبائل البدوية والنوبية المستعربة وأقاموا عاصمتهم في قرى.

لكن في بداية القرن السادس عشر، جاء قادمون جدد عرفوا بالفونج وتنازعوا مع العرب حقوق الرعى كذلك تفرقوا سياسياً وظفروا بالنصر والهيمنة في حين وجد آل عبدالله أنفسهم في حالة تبعية، وبهذا سقطت مملكة علوة المسيحية بعد سقوط مركزها الإداري في سوبا وجاءت بعدها دولة الفونج الإسلامية.

وخلاصة القول فانه ومنذ القرن الثاني عشر كانت المملكة على ما يبدو في حالة انهيار ونشأت مملكة مستقلة، مملكة الأبواب (التكاكي)*، في أطراف علوة الشمالية. يشير غياب فخار مميز للفترة المسيحية الختامية وكذلك مصنوعات فخارية إسلامية مصقولة ترجع لتاريخ لاحق للقرن الثالث عشر الى أن ثروات مدينة سوبا كانت آخذة في الاضمحلال ببداية القرن الرابع عشر على الأقل. مصدرنا الوحيد لسقوط سوبا يوفره تاريخ الفونج حيث أنه قبل هذا التاريخ "1504" أطاح الفونج بالنوبا وجعلوا مدينة سوبا عاصمة لهم؛ وكانت في تلك المدينة مبان رائعة وحدائق وُنزل للمسلمين، وفي رواية أخرى ان عمارة وعبدالله جماع زحفوا برجالهم وحاربوا ملوك سوبا وقرى وهزموهم وذبحوهم (Vantini, Op.cit, 786).

تم تركيب تاريخ الفونج في زمن منفصل بعد تلك الأحداث ومن ثم فإن مصداقيتها تظل مفتوحة للنقاش، حيث تشير ندرة الفخار الفونجاي في الموقع بأن المدينة لم تكن مأهولة

* اثبتت الدراسات الحديثة التي تمت مؤخراً ان مملكة التكاكي هي احد الممالك النوبية الاربعة والتي عُرِفَت سابقاً باسم مملكة "الأبواب" والتي قامت في السودان في المنطقة ما بين الشلالين الخامس والرابع

حينها، حيث ان الإشارة التاريخية الى المباني الكبيرة، والحدائق والنزل التي عاش فيها المسلمون تبين أنها مأخوذة من وصف ابن سليم الأسواني ولا علاقة لها بمدينة سوبا ذات الأدلة الفونجافية. عندما مرّ ديفيد روبيني عبر سوبا في عام 1523 وصفها بالأطلال مع سكان يعيشون في عيش خشبية، لكنه تمكن من السفر لمدة عشرة أيام الى مملكة الجعل والتي كانت لازالت تحت سيطرة مملكة سوبا.

بعد تلك الفترة لم يرد ذكر لسوبا في كتابات جيمس بروس الذي سافر شمالاً مع النيل الأزرق من سنار في عام ١٧٧٢م عند عودته من رحلته الى إثيوبيا. والذي لم يمر بالموقع، بسبب ظروف محلية تمثلت في وجود عسكر قبيلة البطاحين بالقرب من أم دوم والتي وصفها بأنها قرية كبيرة على ضفة النهر على بعد حوالي سبعة أميال من العيلفون. حيث ذكر بأنهم انهم سراق، نهايون عند مروره بهم في الفجر قبل شروق الشمس (Bruce, 1805, 514).

اما عند احتلال السودان بواسطة محمد علي باشا في عام 1820، فقد زار عدد من الرحالة الأوروبيين، منهم كايو، منطقة سوبا وتركوا وصفاً لأطلالها، لكن واضح أنه بحلول السنوات المبكرة للقرن التاسع عشر لم تعد مباني سوبا المسيحية مرئية أكثر مما هي عليه الآن. بعض وصف الرحالة بجانب أوصاف أخرى.

الوضع الحالي ومستقبل الدراسات في موقع سوبا:

بالرغم من ان العمل الاثري بموقع سوبا شرق بدا منذ السنوات الاولى من القرن العشرين وهذه فترة كافية لدراسة الموقع ككل الا ان عدم الاستمرار العمل في الموقع لمواسم متتالية او حتى فترات متقاربة ادى الى عدم التمكن من دراسة هذا الموقع الذي يمثل فترة هامة في تاريخ السودان وتحديد فترة العصور الوسطى ٥٠٠ - ١٥٠٠م.

كما اشرنا فان المنطقة تعمل بها الان البعثة الاسبانية في منطقة الشيخ الامين، بجانب اعمال الهيئة العامة للآثار والمتاحف بالاشتراك مع ادارة الآثار بولاية الخرطوم، الا ان العمل يسير بصورة بطيئة لا تتناسب وحجم الموقع واهميته والخطار التي تتهدده. كما ان معظم الاعمال التي تتم تأتي غالباً في اطار العمل الانقاذي عند انشاء وقيام المشاريع الاستثمارية او التنمية وخلافه.

اما عن مستقبل العمل الاثري بالموقع والتصور للعمل في الفترة القادمة فيجب ان يتواصل لابرار العديد من الجوانب لهذا الموقع والذي دلت الحفريات على انه غني جدا بالاثار والقيام بوضع استراتيجية محددة للعمل في هذا الموقع وذلك بمنع الاخطار التي تتهدد الموقع، فقد دمرت المباني المشيدة بالطوب المحروق وتم نقل معظمه واستخدامه في مواقع اخرى خاصة مباني القصر الجمهوري بالخرطوم خلال القرن ١٩.

بالرغم من ان الموقع تحت ادارة الاثار، لكن استمرت التهديدات عليه فقرية القنيعاب التي تقع بالقرب من الموقع في الجزء الشرقي منه تمددت سكانيا بمنطقة الاثار وهذا يؤدي للاضرار بالاثار، اضافة الى التمدد الزراعي والسكاني وانشاء الجسر الذي يربط بين شرق وغرب النيل، جميعها تمثل خطراً كبيراً على المنطقة ككل. ومنعا لهذه الاضرار نتمنى ان يتواصل العمل مستقبلا وذلك بالقيام باعادة دراسة الموقع وادارته وحمايته باستخدام مناهج متعددة تقوم على العمل الاثري والتراثي من واقع غنى المنطقة بالموارث الثقافية الكبير، ويمكن ان يتم العمل بالتعاون بين هيئة الاثار والمتاحف السودانية وادارة الاثار بالخرطوم وبعض اقسام الاثار والتي يمكنها ان تقدم عملاً متكاملًا لحماية وحفظ هذا الموقع المهم.

خلاصة:

من خلال هذه الدراسة فقد تبين الأهمية الحضارية والتاريخية لموقع سوبا التي كانت خاضعة لمملكة مروي من خلال الادلة الاثرية التي وجدت بها، كما اصبحت عاصمة للمملكة علوة المسيحية التي امتدت في مساحات واسعة من السودان وكانت احد اهم المراكز الحضرية في العصر الوسيط، كذلك وعندما تحول السودان الى الاسلام خلال فترة الفونج صارت سوبا احدى المدن الفونجية المهمة، الشيء الذي يوضح الاستمرارية الثقافية والحضرية لهذا الموقع.

ولعل العوامل الجغرافية والطبيعية والتاريخية التي ميزت هذا الموقع ساعدت على القيام بهذا الدور الكبير حيث استفاد الانسان من النيل وكذلك استخدم الطوب اللبن والطوب المحروق لبناء المنازل حتى يستطيع ان يتكيف مع البيئة من حوله من برودة وحرارة وامطار ورياح وخلافه. وكذلك لتوفير قدر من الامن ضد الاعداء. فالبيئة بسوبا أثرت في الاقتصاد الذي بدوره أدى الى ان يختار الناس سوبا مكان للاستيطان.

ونسبةً لازدهار سوبا في العديد من الفترات فقد تطور اقتصادها ، فنجد ان لهم منازل ضخمة ذات طابقين وبها غرف متعددة وهذا ما اثبتته الحفريات، وهذا التطور في الاقتصاد كان سبباً لاختيار سوبا مكاناً للاستيطان. ويظهر ذلك في نمط الاستيطان الدائم والذي ينعكس من خلال مساكنهم ونشاطاتهم الزراعية والرعية والتجارية ووجود مقابر جماعية. كذلك كان لوقوعها في ملتقى طرق تجارية اثراً كبيراً في ذلك. فضلاً عن النشاط الاجتماعي والثقافي وهذه النشاطات بدورها جذبت السكان للمنطقة وجعلتهم متعاونين فيما بينهم بشكل كبير مازال مستمراً وينعكس في كثير من أوجه الثقافة المادية وغير المادية في حياة السكان الحاليين حتى الان.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- شينى، بىتر. بلاد النوبة فى العصور الوسطى رسالة الاثار. ترجمة "نجم الدين محمد شريف". رسالة المتحف نمرة ٢. الخرطوم. ١٩٥٤م.
- فانتينى، جيوفاني. تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث. الخرطوم. ١٩٧٨م.
- مسعد، مصطفى محمد. المكتبة السودانية العربية. القاهرة. ١٩٧٢م.

المراجع الاجنبية:

- Adams W.Y. 1977. *Nubia Corridor to Africa*. London.
- Addison F. 1930, 'A Christian Site Near Khartoum'. *Sudan Notes and Records* 13. 285-288.
- Arkell A.J. 1959. 'A Christian Church and Monastery at Ain Farah, Darfur', *Kush* 7. 115-119.
- Balfour Paul. H.G. 1952. 'Early Cultures on the Northern Blue Nile'. *Sudan Notes and Records* 33. 202-215.
- Behrens, P. 1986. 'The Noba of Nubia and the Noba of the Ezana Inscription. A Matter of Confusion', *Afrikanistische Arbeitspapiere, Schriftenreihe des Kölner Instituts für Afrikanistik* 8. 117-126.
- Bruce J. 1805, *Travels to Discover the Sources of the Nile, in the years 1768-1773*, 2nd edition. Edinburgh.
- Budge E.A.W. 1907. *The Egyptian Sudan*. 2 vols. London.
- Clarke, S. 1912. *Christian Antiquities in the Nile Valley*. Oxford.
- Fattovich, R. 1984. 'Possible Christian Remains in the Gash Delta, Kassala Province (Sudan)', *Annali dell'Istituto Universitario Orientale* 44. 399-406.
- Hofmann, I. 1981. 'Der Widder von Soba'. *G. Miszellen* 43. 53-60.
- De Neufville R.L. and A.A. Houghton 1965, 'A Description of Ain Farah and of Wara', *Kush* 13. 195-204.
- Kirwan L.P. 1972. 'An Ethiopian-Sudanese Frontier in Ancient History'. *Geographical Journal* 138 pt 4. 457-465.
- Kirwan L.P. 1981. 'Aksum, Meroe, and the Ballana Civilisation', In. W.K. Simpson and W.M. Davis (eds), *Studies in Ancient Egypt, the Aegean, and the Sudan*. Boston. 115-119.
- Littmann, E. 1913. *Deutsche Aksum Expedition*. Berlin.
- Shinnie, P. 1955. *Excavations at Soba East*.

- Shinnie P.L. 1961. *Excavations at Soba*. Sudan Antiquities Service, Occasional Papers No. 3, Khartoum.
- Shinnie P.L. 1971, 'The Culture of Medieval Nubia and its Impact on Africa', In. Yusuf Fadl Hassan (ed.), *Sudan in Africa*. Khartoum. pp. 42-50.
- Torok, L. 1974. 'Ein Christianisiertes Tempelgebäude in Musawwarat es Sufra (Sudan)'. *Acta Archaeologica Academiae Scientiarum Hungaricae* 26. 71-103.
- Torok, L. 1988, *Late Antique Nubia*. Budapest.
- Vantini G. 1975. *Oriental Sources concerning Nubia*. Heidelberg-Warsaw.
- Vantini G. 1981, *Christianity in the Sudan*. Bologna.
- Vercoutter J. 1961. Le Sphinx D'Aspelta de Defeia', *Mélanges Mariette (Bibliothèque d'études 32)*. 97-104.
- Zarroug, M, A, 1992. "The kingdom of Alwa" *African Occasional Papers*. N.S University of Calgary Press.
- Welsby, D, and Daniels, C, M. *Excavations at Soba*, British Institute of Eastern Africa, London.
- Welsby, D. 1992. "Excavations at Soba East, (1989-90) 1991-1992 "Kush 17".